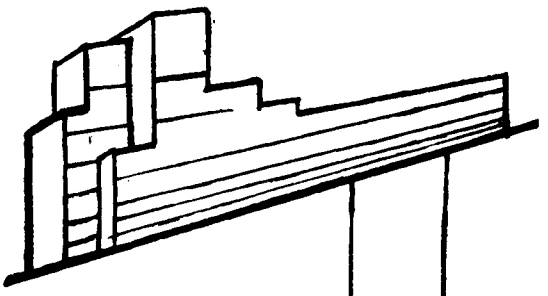

بحث فنية

العمارة الاسلامية

بينما كانت دولة بنى ساسان بفارس ودولة الروم الشرقية بالحوض الشرقى للبحر الأبيض المتوسط قد هزمتا وتولاهما ضعف شديد وأخذتا تتقدمان بخطى متثاقلة كالأشباح نحو القبر، كانت دولة العرب الفتية تنهض وتبشر بدين جديد، وقد بدأ نجمها فى الصعود وأخذت تنشر لواءها على الأمم والأمصار، فدانت لها الشعوب وتملكت واتسعت أطرافها فى وقت قصير حتى بهرت العالم بحضارة عظيمة كانت رسالة « محمد » باعثتها ورافعة علمها.

وكان لحياة العرب فى الصحراء والبادية ونشدانهم للحب وتغنيهم بالشعر والجمال أثر عامل فى الفن الاسلامى. وكانت البساطة والجمال طابعاً لكافة أعمالهم التى تطلبتها حياتهم الجديدة فى الفن والسياسة، شأنهم فى بداوتهم الأولى، وقد ظلت هاتان الصفتان لازمتين لهم فى جميع الأدوار التى لعبوها أو مثلوها على مسرح الحياة.

وقد كان لنزول الوحى وانبثاق نور الاسلام أن ظهر هذا الفن الحديث فريداً فى نوعه ومؤيداً بروح خاصة جعلته غريباً عن غيره من الطرز التاريخية، حتى إنه ليحق القول أن هذا الطراز هو صنيعة « الاسلام والدين الحنيف ».

وإذا قضينا بهذا، وجدنا أن العوامل التى أثرت فيما بعد فى العمارة الاسلامية كانت بالطبع غريبة عن بلاد العرب فإن معرفة العرب وحياتهم فى البدو وعزلتهم عن الحياة دعاهم للتأثر بما جاورهم من البلدان، حتى نجد شدة تأثر عمارتهم الأولى بفارس وبيزنطة، فقد نشأ من اختلاط العرب بالأمم التى خضعت لهم فنون متشابهة فى جملتها ومتنوعة وفقاً لحالة كل بلد قامت فيه - وقد ازدهرت مدنية العرب وانتشرت حضارتهم بفتحهم البلاد فى المشرق والمغرب وكانت العمارة أعظم مظاهر هذه الحضارة بما شيده الخلفاء من مدائن ومساجد وقصور وحدائق وقلاع وأسوار، وغير ذلك؛ ومن أبدع أمثلة الفن الاسلامى قصر « أشبيلة » وقصر « الحمراء » وأعمدة « هرقل » فى الأندلس.

العمارة الاسلامية فى مصر وسوريا:

كانت دمشق عاصمة بنى أمية. وأهم آثارها قبة الصخرة فى بيت المقدس وقد بناها عبد الملك بن مروان (٦٨٨م) ثم الجامع الأموى بدمشق (٧٠٥م) شيده الوليد بن عبد الملك وقد زانت الفسيفساء ذات الصنع الجميل داخل كل من هذين الأثرين؛ أما صناعة الاسلام فى مصر فتبدأ من عهد الدولة الطولونية وقد تفوق المصريون زمن أحمد بن طولون فى صناعة الجص كما يشهد بذلك جامعه المشهور باسمه بالقاهرة.

وقد خلف الفاطميون بمصر كثيراً من المساجد وغيرها من التحف الفنية وقد كان عصرهم من عصور الاسلام الذهبية كما هو عصر للهضة بالعمارة الاسلامية ومن آثارهم الأزهر أقدم جامعة إسلامية عالمية.

العمارة الاسلامية فى بلاد المغرب والأندلس:

قد لعبت الفنون الاسلامية دوراً خطيراً فى تونس والجزائر وكذا بالأندلس التى حفظت أعظم تراث للفن الاسلامى بما له من سحر وخلود - ويعتبر جامع « القيروان » وجامع « الزيتونة » فى تونس أشهر الآثار الباقية فى بلاد المغرب وقد كان ولا يزال اسم غرناطة آخر المدن الاسلامية بأسبانيا «وقعت فى يد إيزابيلا وفرديناند (١٤٨٩م)» يقرن على الدهر باسم (قصر الحمراء) الذى يعد أسلوبه فخر العمارة الاسلامية، ذلك القصر الذى يلهم الأحلام وتحوم فيه أرواح فرسان الأندلس والذى لدقة صنعه وجمال وصدق تعبيره تثير مشاهده فى النفس الشعر والخيال حتى أوحى للكتاب العظام أمثال « واشنطن أرفنج »

« وجوتيه » بأروع التأملات فى الأدب الخالد كما كان مادة لخيال غيرهم من المؤلفين الموسيقيين والشعراء والمصورين حتى ملأ ذكره الآفاق ، وتمتاز « أشبيلة » « وغرناطة » أيضـــاً بالبساتين الغناء وجمال الخضرة والماء والمناظر الطبيعية .

العمارة الاسلامية فى فارس :

خضعت بلاد الفرس للمسلمين فى زمن الخلفاء الراشدين غير أنه لاتوجد هناك آثار باقية للحكم الإسلامى حتى ولاية العباسيين إلا بعض الخرائب والأطلال . . أما جامع « أصفهان » العظيم فقد بقى من عهد « الصفويين » .

وقد غلب استعمال القيشانى تكسيه للحوائط بالعمارة الفارسية ، سيما منها ذات الألوان الزاهية والذهبية .

العمارة الاسلامية فى تركيا :

كان للعثمانيين وهم سلالة من الأتراك السجلوقيين زحفت على الأناضول فن متاثر بالفارسى ، فلما اجتازوا بوغاز الدردنيل وفتحوا القسطنطينية واستولوا عليها من المسيحيين وضعوا أساس عمارتهم على نحو العمارة البيزنطية التى كانت أهم ظواهرها كثرة القباب على نمط سنت صوفى (أياصوفيا) وقد أفلح تحويل كثير من الكنائس لعبادة المسلمين حتى استغنى عن نظام الصحن المكشوف وإحاطته بالبواكى على النحو المتبع فى غيرها من البلدان الإسلاميه وقد صارت أيا صوفيا بعد أن صلحت جامعاً نموذجياً يقتدى به فى بناء الجوامع التركية وقد كثر استعمال القباب حتى حملت على الأعمدة والعقود ، أما الجدران فكانت تكسى من الداخل بألواح القيشانى ـ وأحسن ماشيده العثمانيون من المساجد بالقسطنطينية « جامع بايزيد » « وجامع السليمانية » حيث استعمل فى نوافذه اجص المحلى بالزجاج الملون .

العمارة الاسلامية فى الهند :

ظهر الفن الإسلامى فى شمال الهند باستيلاء المسلمين على دلهى وقد دخلها عن سبيل فارس وهو عبارة عن عصرين عظيمين .

(أولهما) عصر الباتان The Pathan Dynasty

كانت العمارة الإسلامية بالهند هى من نوع العمائر التذكارية Monumental وذلك بتقدم فن الإنشاء باستعمال الأحجار الرملية والرخام وقد روعيت العظمة Scale فى التصميمات حتى غدت دلهى العاصمة بما حوته من وفرة الآثار الإسلامية أثينا أوروما أو القسطنطينية وتدانيها فى الأهمية المعمارية .

(ثانيهما) العصر المغولى The Mogul Dynasty

لقد أصبح للفن الاسلامى فى هذا العصر آياته ومميزاته ولا شك أن « تاج محل » الذى شيده الشاه جهان أثناء حكمه هو أعظم وأشهر الآثار الاسلامية قاطبة حتى لقب « بألمع جوهرة فى تاج العمارة الهندية » وهو يمثل سحر الشرق وحلم القبور ومعجزة للفن الرخامى المرصع بالجواهر وهو فوق بساطة تصميمه على النحو المتماثل وجماله أو حلو زخرفته قد قام فى وسع حافل بالمنائر وسط الحدائق الغناء والأنهر والبحيرات تحيطه أشجار عالية باسقة تشعر بالوحشة والعزلة والسكون وتفرض جواً يناسب النهاية للأضرحة والقبور :

هذه بعض طرائف الاسلام فى عالم الآثار والفنون التى حفلت بها المدن فى الشرق والغرب تنطق بعظمة الاسلام والمسلمين ؟

عبد القاهر محمد ناجى
المهندس المعمارى

◎ الفرق الوحيد بين موت الشيوخ وموت الشبان أن الشيوخ يذهبون إلى الموت ، وأن الموت يذهب إلى الشبان .

◎ العقلاء يتعلمون من المجانين أضعاف ما يتعلم المجانين من العقلاء .

◎ الذهب يمتحن بمحك المعدن ، والرجال يمتحنون بالذهب .

◎ العاقل يلوم غيره فى كل خطأ يصيبه ، وطالب الحكمة يلوم نفسه ، أما الحكيم الواصل فلا يلوم نفسه ولا يلوم الآخرين .

◎ القوانين كنسج العنكبوت تقع فيه صغار الطير وتعصف به كبارها .